إدْرَاكُ الرَّازِيِّ لِلْمَعَانِي المُسْتَلْزَمة حِوَارِيًّا فِيْ الجُمَلِ الإخبارية.

محمد كامل محمد علي

مدرس مساعد– كلية الآداب– جامعة المنيا

مُقَدِمَةٌ

يَشْتَرِكُ الْجِنْسُ الْبَشَرِيُّ فطريًا فِي اِسْتِعْمالِ عِدَّةِ آلِيَّاتٍ مَنْطِقِيَّةٍ وَغَيْرَ مَنْطِقِيَّةٍ فِي إِنْشاءِ الْكَلاَمِ وتأويلِهِ، اِنْطِلاقًا مِنْ تَجَارِبِ الْأَفْرَادِ وَتَفَاعُلَاتِهِمْ مَعَ مُحِيطِهِمْ الْخَارِجِيِّ، وَلَوْلَا اِمْتِلاَكُ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ لِهَذِهِ الْآلِيَّاتِ مَا كَانَ لِيَحْصُلَ بَيْنَهُمْ تَفَاعُلٌ، وَمَا كَانَ لِيَتِمَّ بَيْنَهُمْ تُوَاصِلٌ لِسَانَيٌّ، وَكُلَّمَا أُفْلِحَ الْفَرْدُ فِي اِخْتِيَارِ مَا يُنَاسِبُ مِنْ هَذِهِ الْآلِيَّاتِ كَانَ لِخِطَابِهِ وَقْعٌ عَلَى مُخاطَبِيه: اِسْتِمالَةً أَوْ إِقْنَاعًا أَوْ إِمْتَاعًا ... إِذْ تَعْمَلُ جَمِيعُهَا _إذ أَحْسِنَ اِسْتِعْمالُهَا _على تَسْرِيعِ عَمَلِيَّةِ تَعْدِيلِ مَوْقِفٍ، أَوْ تَغْيِيرِ سُلُوكٍ، أَوْ الدَّفْعِ إِلَىٰ عَمَلٍ، أَوْ تَغْيِيرِ نَظْرَةٍ تُجَاهَ مَوْضُوعٍ، أَوْ حَدَثٍ، أَوْ شَخْصٍ، أَوْ فَكْرَةٍ[1] ومِنْ هذه الآلياتِ الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ.

تَعْرِيفُ الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ:conversational implicature :

تَعْرِيفُ الْاِسْتِلْزامِ لُغَةَ: يعود في أصله إِلَىٰ الجذر اللغوي (ل. ز. م) ، وورد في لسان العرب لابن منظور: أن الاستلزام: من لَزِمَ الشيءَ يَلْزَمُه لَزْمًا ولُزومًا ولازَمَهُ مُلازَمَةً ولِزامًا والْتَزَمَه وأَلْزَمَه إِيَّاه فالْتَزَمَه. وَرَجُلٌ لُزَمَةٌ: يَلْزَم الشَّيْءَ فَلَا يفارِقه. واللِّزَامُ: الفَيْصل جِدًّا. وَقَوْلُهُ ﷻ: قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كذَّبتم فَسَوْفَ يَكُونُ لِزامًا؛ أَي عَذَابًا لَازِمًا لَكُمْ

مفهوم الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ والقواعد التي يقوم عليها:

لاحظ فلاسفة اللغة واللسانيون والتداوليون– وخصوصا الفيلسوف جرايس– أن جمل اللغات الطبيعية، في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها القضوي، ويتضح ذلك مِنْ خِلَالِ الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و(ب):

– الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

– الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

لاحظ الفيلسوف جرايس أننا إذا تأملنا إجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي والآخر مستلزم. معناها الحرفي أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أن الطالب المذكور ليس مستعدة لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة. هذه الظاهرة اللغوية سماها جرايس بالاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّconversational implicature [2]

لقد كان ما يشغل جرايس هُوَ كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئًا ويعني شيئا آخرًا؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضًا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخرًا؟ وقد وجد حلًا لهذا الإشكال فيما أسماه مبدأ التعاون co – operative principle بين المتكلم والمخاطب وهر مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ maxims فرعية هي[3]:

1- مبدأ الكم Quantity:

أجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

2- مبدأ الكيف Quality:

لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

3- مبدأ المناسبة relevance: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

4- مبدأ الطريقة manner: كُنْ واضحًا ومحددًا: فتجنب الغموض Obscurity، وتجنب اللبس ambiguity، وأوجز، ورتب كلامك..

هذه هي المبادئ التي يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولًا إِلَىٰ حوار مثمر.

ويعرف الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ بأنه المعنى التابع للدلالة الأصلية أو أنه" الانتقال من المعنى الصريح إِلَىٰ المعنى غير مصرح به"[4].

والمعنى المستلزم الحواري ناتج عن خرق مبادئ الحوار، التي يستلزم معنى مقصودًا يدركه المخاطب اليقظ، الذي يعي مقصد المتكلم من هذا الخرق[5].

وبالجملة فإن الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ ينجم عن العدول عن إحدى القواعد المتحكمة في الحوار اللغوي مع التشبث بمبدأ التعاون[6].

نماذج لإدْرَاكِ الرَّازِيِّ لِلْمَعَانِي المُسْتَلْزَمة حِوَارِيًّا فِيْ الجُمَلِ الإخبارية المثبتة:

مِنْ الإخْبَارِ للاعتراف، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ ﴾ [الشُّعَرَاء:14] هَذَاْ المَلْفُوظُ قَالَهُ مُوسَىٰ عليه السلام بَعْدَمَا كلفه ربُه بأن يأتي القوم الظالمين، وعَنْدَها تذكر عليه السلام وكزه للقبطي وكزة أفضت إِلَىٰ موته، وقد التزم مُوسَىٰ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co-operative Principle، وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الْكَمِMaxim of quantity وَالْتِي تَقْضِي بَأَنْ يَكُونَ الاسهام فِيْ الخطاب بالْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ دُون زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ؛ فالْمَلْفُوظ هُنَا يَحْمِلُ مَعْنَى الإخبار، والإخْبَار يقْتَضِي جَهْلَ المُتَلَقِي بالخَبَرِ، فإذا كان الخبر معلومًا للمتلقي، يكون القائل زاد على المطلوب من الإخبار؛ ولذلك لا يمكن فهم المَعْنَى إلا فِيْ ضوء الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ؛ فالله عز وجل يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان من مُوسَىٰ ولا يحتاج- وحاشاه أن يحتاج- إِلَىٰ إخبار مُوسَىٰ؛ ومِنْ خِلَالِ خرق هذه القَاعِدَة تَوَلَّدَ مَعْنَى ضمني مُسْتَلْزَم حِوَارِيًّا بجانب الإخبار وَهُوَ الاعتراف بالقتل، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" فأراد بالذنب قتله القبطي "[7]

- فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنْ الكَافِرِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء:18-19] هَذَاْ المَلْفُوظُ قَالَهُ فِرْعَون لمُوسَىٰ عِنْدَمَا دعاه مُوسَىٰ للإيمان، وقَدْ الْتَزَمَ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ

الْحِوَارِيِّ Co-operative Principle فَلَمْ يِخْرُجْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحِوَارِ، وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الْمُنَاسَبَةِ Maxiam of relevance وَالْتِي تَقْضِي أَنْ يَكُونَ الْمَقَالُ مُنَاسِبًا لِلْمَقَامِ، والحقيقة أَن الْمُقَامِ مَقَامُ دعوة، فقد توجه مُوسَىٰ وهارون لفِرْعَون – بأمر مِنْ الله– بأمرين الأول: إبلاغه بالرسالة فِيْ قوله: إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والثاني: أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. ولكن فِرْعَون عدل عن هذين الأمرين موبخًا مُوسَىٰ بثلاثة أمور أخرى وهي الأولى: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا، والثانية: وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، والثالثة: وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنْ الكَافِرِينَ، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" ووبخه بما جرى عَلَى يده من قتل خبازه وعظم ذلك (وفظعه) بقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التى فَعَلْتَ﴾"[8]

– وفي قوله سبحانه:﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنْ الضَّالِّينَ﴾ [الشُّعَرَاء:20] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ قَالَهُ مُوسَىٰ لفِرْعَون عِنْدَمَا ذكره فِرْعَون بنعمه عليه واتهمه بكفران النعمة بقتله للقبطي، وِقَدْ الْتَزَمَ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co-operative Principle فَلَمْ يِخْرُجْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحِوَارِ، وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الْكَمِMaxim of quantity وَالْتِي تَقْضِي بَأَنْ يَكُونَ الاسهام فِيْ الخطاب بالقدر المطلوب؛ فالحقيقة أن كلام مُوسَىٰ غير مناسب لكلام فِرْعَون في الكم؛ فقد ذكره فِرْعَون بثلاثة أمور الأولى: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا، والثانية: وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، والثالثة: وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنْ الكَافِرِينَ فلم يجب مُوسَىٰ عن اثنتين وأجاب عن الثالثة مما خرق مبدأ الكم، ولاحظ الرَّازِيّ هَذَاْ التحول إِلَىٰ المَعْنَى المُسْتَلْزَم فقال:" أن فِرْعَون لما ذكر التربية وذكر القتل وقد كانت تربيته له معلومة ظاهرة، لا جرم أن مُوسَىٰ عليه السلام ما أنكرها، ولم يشتغل بالجواب عنها... ولكن أجاب عن القتل بما لا شيء أبلغ منه فِيْ الجواب وَهُوَ قوله:﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنْ الضَّالِّينَ﴾[9]

– مِنْ الإِخْبَارِ لإخفاء القلق، قَالَ تَعَالَىٰ عَلَى لسان فِرْعَون:﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ﴾ [الشُّعَرَاء:34–35] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ قَالَهُ فِرْعَون لنبي الله مُوسَىٰ عليه السلام عِنْدَمَا رأى آيتي العصا واليد، وِقَدْ الْتَزَمَ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co-operative Principle فَلَمْ يَخْرُجْ عَنْ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يُرِيدُ نَقْلَهُ، وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحَوَارَ، وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الْمُنَاسَبَةِ Maxiam of relevance وَالْتِي تَقْضِي بَأَنْ يَكُونَ الْمَقَالُ مُنَاسِبًا لِلْمَقَامِ، وباستحضار الموقف نجد أن ملفوظ فِرْعَون غير مناسب للموقف؛ فمُوسَىٰ يعرض عليه الإيمان ويريه آيتين، وهَذَاْ ليس له علاقة باحتلال الأرض وإخراج أهلها منها، وكان الأولى بفِرْعَون أن يقبل أو يرفض الرسالة وأن يصدق أو يشكك فِيْ آيتي مُوسَىٰ، ولكن فِرْعَون قال كلامًا غير مناسب للموقف موجهًا خطابه لقومه؛ ليخفي ما خالجه من قلق، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" ليسكنوا بعض قلقه جاءوا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليطيبوا قلبه فِيْ قولهم:﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ "[10]

– مِنْ الإِخْبَارِ للتهديد، قَالَ تَعَالَىٰ على لسان فرعون:﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الشُّعَرَاء:49] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ قَالَهُ فِرْعَون للسحرة عِنْدَمَا أعلنوا إيمانهم برب العالمين، وِقَدْ الْتَزَمَ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co-operative Principle فَلَمْ يِخْرُجْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحِوَارِ، وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الْكَمِMaxim of quantity وَالْتِي تَقْضِي بَأَنْ يَكُونَ الاسهام فِيْ الخطاب بالْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ دُون زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ؛ والْمَلْفُوظ هُنَا يَحْمِلُ مَعْنَى الإخبار،

والإخْبَار يقْتَضِي جَهْلَ المُتَلَقِي بالخَبَرِ ؛ فإذا كان الخبر معلومًا للمتلقي، يكون القائل زاد على المطلوب من الإخبار ؛ ولذلك لا يمكن فهم المَعْنَى إلا فِيْ ضوء الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ؛ فالسحرة يعلمون جيدًا ما قد يلحق بهم من أذى جراء إيمانهم بمُوسَىٰ وكفرهم بألوهية فرعون، والدليل عَلَى ذلك أنهم أجابوا عَلَى تهديد فِرْعَون قائلين لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ، وهَذَاْ الخرق لقَاعِدَة الْكَمِMaxim of quantity وَلَّدَ مَعْنَى مُسْتَلْزَما حِوَارِيًّا وَهُوَ التهديد، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" وعيد مطلق وتهديد شديد "[11]

– التحول مِنْ الإخْبَارِ بالشك لليقين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشُّعَرَاء:82] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ قَالَهُ نَبَيُّ اللهِ إبْرَاهِيم، وقَدْ الْتَزَمَ بِمَبْدِأ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co-operative Principle فَلَمْ يِخْرُجْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحِوَارِ، وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الْكَيْفِMaxiam of quality وَالْتِي تَقْضِي بألا يقول المتكلم خلاف ما يعتقد؛ وإبْرَاهِيم عليه السلام يعلم أنه نبي رسول وأن الله خص الأنبياء دون سائر عباده بالدرجات العلى؛ فعن طريق خرقه لقَاعِدَة الْكَيْفِMaxiam of quality تَوَلَّدَ مَعْنَى مُسْتَلْزَم حِوَارِيًّا للطمع وَهُوَ اليقين، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" المراد مِنْ الطمع اليقين"[12]

– مِنْ الإخْبَارِ للاعتراف، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء:98] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ سيقوله الغاوون عِنْدَمَا يكبكبوا فِيْ النار، وَفِيْهِ الْتِزَام بِمَبْدِأ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co-operative Principle فَلَمْ يَخْرُجُواْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغُواْ وَلَمْ يُنْهُواْ الْحِوَارِ، ولَكِنَّهُمْ خَرِقُوا قَاعِدَة الْكَمِMaxim of quantity بين الإخبار الحقيقي المتطلب جهل المخاطب بالخبر، والْمُقَامِ الْذِيْ جَاءَ فِيْهِ هُوَ مقام جلاء للحقائق وان الله هُوَ الملك ولا يضارعه مضارع؛ فصاروا يخبرون بشيء معلوم وَهُوَ أنهم كانوا فِيْ ضَلَالٍ مُّبِينٍ.إذْ يساوونهم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ والدليل عَلَى أنه معلوم أنهم كبكبوا فِيْ النار ؛ فإذا كان الخبر معلومًا للمتلقي، يكون القائل زاد على المطلوب من الإخبار ؛ فَأَوْجَبَ الْمُقَامُ عَلَى الْمُتَلَقِي إدْرَاكَ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم حِوَارِيًّا وَهُوَ الاعتراف، ولا يحمل هَذَاْ القول عَلَى حقيقته لأن الإخبار لا يكون بشيء معلوم ولكن الْمُقَامِ استلزم وجود مَعْنَى ضمني وَهُوَ الاعتراف وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" أنهم ذكروا ذلك... عَلَى وجه الاعتراف بالخطأ العظيم وعَلَى وجه الندامة "[13]

– مِنْ الإخْبَارِ للتنبيه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشُّعَرَاء:132-134] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ قَالَهُ نَبَيُّ اللهِ هود عليه السلام، والْتَزَمَ فِيْهِ بِمَبْدِأ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co-operative Principle فَلَمْ يِخْرُجْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحِوَارِ، وَلَكِنَّهُ خَرِقَ قَاعِدَة الطَّرِيقَةِ Maxiam of manner وَالْتِي تَقْضِي بِأَنْ يَكُونَ كلامُ المتكلمِ محددًا موجزًا؛ فهودٌ عليه السلام يدعوهم لتقوى الله الذي أمدهم بما يعلمون وكان يكفيه ذلك وَلَكِنَّهُ عَمِدَ إِلَىٰ تفصيل المجمل أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ؛ فتعمد خرق قَاعِدَة الطَّرِيقَةِ Maxiam of manner مولدًا مَعْنَى مُسْتَلْزَما حِوَارِيًّا وَهُوَ التنبيه، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" وَهُوَ التنبيه عَلَى نعم الله تعالى عليهم بالإجمال أولًا ثم التفصيل ثانيًا...حيث قال: {أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ} ثم فصلها من بعد بقوله: {أَمَدَّكُمْ بأنعام وَبَنِينَ وجنات وَعُيُونٍ}"[14]

– مِنْ الإخْبَارِ بالوصف للذم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء:130] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ قَالَهُ نَبَيُّ اللهِ هود ﷺ عِنْدَمَا دعا قومه–قوم عاد– للتقوى، والْتَزَمَ فِيْهِ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co–operative Principle فَلَمْ يِخْرُجْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحِوَارِ، وَلَكِنَّهُ خَرِقُوا قَاعِدَة الْكَمِMaxim of quantity وَالْتِي تَقْضِي أن يكون الإسهام فِيْ الحوار بالْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ دُون زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ؛ فالمقال بمعناه الحَرْفِيّ مقال إخباري وصفي؛ فَهُوَ يخبرهم بصفاتهم الثلاثة: فأولها: أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وثانيها: وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وثالثها: وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَهُوَ يخبرهم بصفاتهم –والتي يعلمونها تمام العلم ويعرفونها تمام المعرفة– فأخبر بما هُوَ معلوم، وإذا كان الخبر معلومًا للمتلقي، يكون القائل زاد على المطلوب من الإخبار؛ فخرق–متعمدًا– قَاعِدَة الْكَمِMaxim of quantity مولدًا مَعْنَى مُسْتَلْزَما حِوَارِيًّا وَهُوَ الذم، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ: "بين أنهم مَعَ ذلك السرف والحرص فإن معاملتهم مَعَ غيرهم معاملة الجبارين، وقد بينا فِيْ غير هَذَاْ الموضع أن هَذَاْ الوصف فِيْ العباد ذم "[15]

– مِنْ الإخْبَارِ للتنبيه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [الشُّعَرَاء:147–148] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ قَالَهُ نَبَيُّ اللهِ صالح ﷺ عِنْدَمَا دعا قومه–قوم ثمود– للتقوى، والْتَزَمَ فِيْهِ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co–operative Principle فَلَمْ يِخْرُجْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحِوَارِ، وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الطَّرِيقَةِ Maxiam of manner وَالْتِي تَقْتَضِي الإيجاز؛ فلا يجمل مفصلًا ولا يفصل مجملًا، ولكن نبي الله صالح ذكر الجزء بَعْدَمَا ذكر الكل فقال نخل بعد جنات وَهُوَ جزء منها؛ فخرق قَاعِدَة الطَّرِيقَةِ Maxiam of manner مولدًا مَعْنَى مُسْتَلْزَم حِوَارِيًّا وَهُوَ التنبيه عَلَى فضل النخل، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:"، فإن قيل: لم قال: {وَنَخْلٍ} بعد قوله: {فِي جنات} والجنة تتناول النخل جوابه من وجهين:الأول: أنه خص النخل بإفراده بعد دخوله فِيْ جملة سائر الشجر تنبيهًا عَلَى فضله عَلَى سائر الأشجار "[16]

– مِنْ الإخْبَارِ للتنبيه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ [النَّمْل: 22] هَذَاْ الَمَلْفُوظُ قَالَهُ الهدهد لنبي الله سُلَيمَان ﷺ عِنْدَمَا عاد إليه بخبر بِلْقيس، والْتَزَمَ فِيْهِ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co–operative Principle فَلَمْ يِخْرُجْ عَنْ مِوْضُوعِ الْحَوَارِ وَلَمْ يُرَاوِغْ وَلَمْ يُنْهِ الْحِوَارِ، وَلَكِنَّهُ خرق قاعدتين من قواعد الحوار:

أولهما: خرق قَاعِدَة الْمُنَاسَبَةِ Maxiam of relevance وَالْتِي تَقْضِي بَأَنْ يناسبَ المقالُ المقامَ؛ فخالف الهدهد الْمُقَامِ من ناحيتين:

أ) خاطب الهدهد نبي الله سُلَيمَان بكلام يخالف مقام المخاطب؛ فكيف لطير مِنْ الطيور وجند مِنْ الجنود أن يقول لقائده ونبي الله أحطت بما لم تحط به.

ب) خاطب الهدهد نبي الله سُلَيمَان بكلام يخالف مقام الكلام؛ فالْمُقَامِ يقول فيه سُلَيمَان ﷺ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فمقام الكلام يتطلب أن يأتيه بسلطان مبين وَهُوَ خبر سبأ أولًا وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الْمُنَاسَبَةِ Maxiam of relevance فقال أولًا: أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، ثم قال آخرًا: وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ.

آخرهما: خرق قَاعِدَة الطَّرِيقَةِ Maxiam of manner وَالْتِي تَقْضِي بالتزام الوضوح فِيْ الكلام وتجنب الغموض؛ فالهدهد فِيْ ملفوظه السابق قال كلامًا قد يوقع مستمعه فِيْ اللبس بإيهامه للمستمع أنه يعلم ما لا يعلمه نبي الله سليمان.

وبهَذَاْ يكون الهدهد خرق قاعدتين من قواعد الحوار الأربعة متعمدًا ليوَلَّدَ مَعْنَى مُسْتَلْزَما حِوَارِيًّا وَهُوَ التنبيه، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" ففيه تنبيه لسُلَيمَان عَلَى أن فِيْ أدنى خلق الله تعالى من أحاط علمًا بما لم يحط به"[17]

– مِنْ الإِخْبَارِ للذم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [النَّمْل24] هَذَاْ الْمَلْفُوظُ قَالَهُ الهدهد لنبي الله سُلَيمَان عِنْدَمَا أخبره بأمر ملكة سبأ وقومها، وِقَدْ الْتَزَمَ بِمَبْدِأِ التَّعَاونِ الْحِوَارِيِّ Co–operative Principle فَلَمْ يَخْرُجْ عَنْ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يُرِيدُ نَقْلَهُ، وَلَكِنَّهُ خَرَقَ قَاعِدَة الْمُنَاسَبَةِ Maxiam of relevance وَالْتِي تَقْضِي بَأَنْ يَكُونَ الْمَقَالُ مُنَاسِبًا لِلْمَقَامِ، والحقيقة أَن الْمُقَامِ مَقَامُ استنكار والْمَقَال مَقَال إخبار – فقد أخبر بخبر سبأ في كلام سابق، ثم استنكر– فالهدهد مؤمن بالله الواحد الأحد وفرد ضمن جند نبي الله سُلَيمَان ووجد قومًا يسجدون للشمس من دون الله فاستنكر الأمر واستعظمه ونقله لنبي الله سُلَيمَان؛ فتوَلَّدَ مَعْنَى مُسْتَلْزَما حِوَارِيًّا وَهُوَ الذم، وَقَدْ لَاحَظَ الرَّازِيُّ هَذَاْ التَّحَولَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُسْتَلْزَم فَقَالَ:" أورده مورد الذم "[18]

الخلاصة:

يعد الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ جزء من التداولية ومن أبرز الأبعاد التي تعتمد عليها، وظهر ضمن أبحاث الفيلسوف بول جرايس والذي عرض فيها الأسس التي يمكن أن تقوم عليها هذه النظرية؛ فأسس مبدأها وَهُوَ أن الناس أثناء حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، وقد ميز بين العبارة وما تحمله من معان إضافية(مستلزمة) وعليه يكون البحث في الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ يكمن في التواصل الضمني غير المباشر.

اقترب الرازي من الجانب التداولي وخاصة في ادراكه للمعاني المستلزمة حواريًا في قصص سور الطواسين عامة والجمل الخبرية خاصة، لأن الجانب اللغوي وحده لم يسعفه في الوصول إِلَىٰ قصد المتكلم؛ فاعتمد على ما يحيط بالقصص من معرفة للغة والأحداث والأشخاص والأزمان والأماكن.

قام الرازي بالتعرض لظاهرة الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ عن طريق التطبيق والممارسة فأدرك المعاني المستلزمة حواريًا وحددها تحديدًا دقيقًا، دون التصريح بتسمية ظاهرة الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ أو تحديد قاعدة أو أكثر من قواعد الحوار التي حددها جرايس.

وبناء عليه **اقترح تعريفًا للاستلزام الحواري** بأنه: ظاهرة لغوية يشترك فيها المتكلم والمخاطب تهدف إِلَىٰ فهم المعنى الضمني مِنْ خِلَالِ العبور من المعنى المباشر إِلَىٰ معنى مضمر يقصده المتكلم ويدركه المتلقي، ويستدل عليه مِنْ خِلَالِ خرق قاعدة أو أكثر من قواعد الحوار.

[1] عندما نتواصل نغير "مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: عبد السلام عشير، 2012، ص88.

[2] H. P. Grice, «Logique et conversation), in: L'information grammaticale Traduit par: Frederick Berthet et Michel Bozen (Paris), no 66, 1995, pp. 51–71.

– يُنْظَرُ أَيْضًا: التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، ص33.

[3] Leech, G. & Thomas, J. (1990): Language, Meaning and context: Pragmatics, in: " Collinge, NE (ed.): An Encyclopedia of Language. Routledge London and New York. P.180.

- يُنْظَرُ أَيْضًا: آفَاقٌ جَدِيْدَةٌ فَيْ الْبَحْثِ اللُّغَوْيِّ: محمود نحلة، ص34.

[4] الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ: العياشي أدراوي، ص17.

[5] التداولية بين النظرية والتطبيق: أحمد كنون، ص206.

[6] الاسْتِلْزَام الْحِوَارِيّ : العياشي أدراوي، ص104.

[7] التفْسِيرُ الْكَبِيرُ: الرَّازِيّ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص116.

[8] نفسه، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص118.

[9] نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص118.

[10] ينظر: نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص124.

[11] نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص126.

[12] نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص133.

[13] نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص141.

[14] نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص144.

[15] نَفْسُهُ ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص145.

[16] نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص146.

[17] نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص174.

[18] نَفْسُهُ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ والْعِشْرُونَ، ص175.